السياسة اللغوية في قطاع التعليم بمالي وجدل الصراع اللغوي والثقافي بين العربية والفرنسية

La politique linguistique dans le secteur de l'éducation au Mali et la controverse du conflit linguistique et culturel entre l'arabe et le français

يوسف ما ريكو

جامعة أفريقيا الفرنسية العربية الأهلية – (مالي)

youssoufoumar@gmail.com

ملخص:

يرتكز ملخص هذا البحث على ضرورة إعادة تحديد النظر في البرامج التي يفرضها النظام الأكاديمي الراهن في جامعات دول أفريقيا، نظرا أن قواعد عمليات التعليم التنفيذية فيها باللغة العربية تقوم على أساس معايير جامدة تقليدية تؤدي إلى إبعاد المستعربين الأفارقة وغيرهم عن فرص العمل، واقتراح استراتيجية رفع هذا التحدي، وعرض البدائل المقترحة التي يحتاجها سوق العمل، كإبداع وابتكار الوسائل اللازمة في مواكبة الأساليب العصرية التي من شأنها تفعيل الاستراتيجيات المقترحة لتعزيز فرص الحصول على الوظيفة.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، الفرنكفونية، صراع الثقافات، السياسة اللغوية، التخطيط اللغوي.

Résumé:

La synthèse de cette recherche est basée sur la nécessité de reconsidérer les programmes imposés par le système académique actuel dans les universités arabes en Afrique de l'Ouest, étant donné que les règles des processus d'éducation opérationnelle en langue arabe sont basées sur des normes rigides traditionnelles qui conduisent à l'exclusion. des arabisans africains et d'autres des opportunités de travail, et de proposer une stratégie pour relever ce défi, et de présenter les alternatives proposées nécessaires au marché du travail, telles que la créativité et la création des moyens nécessaires pour suivre le rythme des méthodes modernes qui activeront son mission et les stratégies proposées pour améliorer les possibilités d'emploi.

Mots cles : Langue Arabe, francophone, conflit des cultures, Politique linguistique, planification linguistique.

مقدمة:

إذا كانت جمهورية مالي قد حققت استقلالها في الستينات من القرن المنصرم، فإنه لا يعدو أن يكون استقلالا جيو سياسيا، كما ينبغي أن نصوره، لكنها لم تستطع أن تحقق استقلالها الثقافي والفكري واللغوي عن الاستعمار الفرنسي المستبد الذي ترك –بعد مغادرته –نخبا سياسية واقتصادية وفكرية تخدم مصالحه خادمة بذلك أهدافا استراتيجية سياسية واقتصادية. بهذا نجحت خطة فرنسا في إرساء نظام تعليمي يتماشى مع السياسة الفرنسية لفرض لغتها على الدول المستعمرة، باعتبارها لغة حية فاعلة ومتفاعلة مع النسيج اللغوي العام، وباعتبارها أيضا لغة المدرسة والإدارة والترقية الاجتماعية.

وفي هذ ا السياق، فإن العربية تواجه بمالي حالا فريدة، وهي معرضة لهجوم عاصف ومواجهة لم تشهد مثيلا لها من قبل، فإما الصمود وإما السقوط، فاللغة العربية كادت تنهار بسبب الهجمة الشرسة من قبل وسائل الإعلام والعولمة العمياء، ليلا ونهارا في العالم الذي يتوجه نحو حرب حضارية تكون فيها القيم الثقافية والرمزية هي الحدود القتالية.

وفي ضوء هذا الاستبداد اللغوي والثقافي، ندرك أن السياسة اللغوية المواكبة للتغيرات والتطورات اللغويّة وغير اللغوية انعكست سلبا مع الإطار المنهجي في جمهورية مالي على حال اللغة العربيّة لعدم ارتباطها بالنسق الاجتماعي حسب رؤية النظريّة السياسيّة اللّغويّة في البلاد.

ففي هذا المساق، يمكننا أن ندرك أن المنهج التربوي الذي راهنت عليه مشاريع السياسة اللغوية في قطاع التعليم بجمهورية مالي، هو جعل اللغة العربية تحظى بموقع متميز في الهندسة اللغوية، وفي البرامج التعليمية الجديدة في جمهورية مالي، فاللغة العربية هي إحدى أبرز مكونات النسيج الحضاري والثقافي، ومن أهم مرتكزات الهوية الدينية بمالي مما جعلها تحظى بعناية خاصة، لتكون لغة حاضرة في الممارسات التربوية ومستمرة للأجيال القادمة وموجودة بقوة في النسق التعليمي والتربوي في جمهورية مالي.

فهذا وغيره، تُحاول هذه الورقة قدر الإمكان معالجة قضيّة السياسة اللغوية بمالي وتأثير الاستعمار في الوضع اللغويّ المحليّ والعربي، فاللغة العربية هي عنصر أساسي للهوية الثقافية للشعب المالي، وهي اللغة الوحيدة من بين لغات مالي في الساحة التي بإمكانها أن تنافس اللغة الفرنسية الرسمية في التداول، وذلك لسببين: لمعياريتها، ومن ثم لعالميتها بالرغم أنها من اللغات المالية الأقل انتشارا بمالي.

أوّلاً: التحديد الجغرافي والتاريخي لجمهورية مالي

مالي دولة إسلامية أفريقية، ومستعمرة فرنسية سابقة، تمتد على مساحة 1,240192 كيلومتر مربع، وهي بذلك البلد الأكبر مساحة في غرب أفريقيا، وتحتل بذلك المرتبة 24 عالميًا من حيث المساحة بين جمهورية جنوب أفريقيا(1.219 مليون كم^2)وأنغولا(1.246 مليون كم^2)[1] .ودولة مالي من دول غرب إفريقيا التي لها تاريخ حضاري عريق ومزدهر قبل أن يحتلها المستعمر الفرنسي عام 1898م، وترجع شهرة مالي إلى الإمبراطوريات الثلاث الكبرى التي ظهرت في ربوعها خلال القرن الثالث عشر وحتى القرن الخامس عشر للميلاد، وهي إمبراطورية غانا ومالي الإسلامية و صنغي، وفي ظل

دولة صنغي بلغت مدينة تمبكتو ذروة التفوق الثقافي والحضاري، حيث كانت تعتبر من أهم المراكز التعليمية والإسلامية والتجارية في القارة، وظلت تمبكتو رائدة في مجال الدعوة الإسلامية ومنارة لنشر الثقافة والعلم[2].

ثانيا: الخلفية التاريخية لجمهورية مالي

وعلى الرغم من أن موضوع البحث يتعلق خصوصا ب–جمهورية مالي –فإن الخلفية الموحدة لمالي تعتبر خلفية تاريخية لغرب إفريقيا في الوقت نفسه، ولهذا قسمت هذه الخلفية التاريخية لغرب إفريقيا إلى أربع مراحل، تبعا لتقسيمات المؤرخين:

مرحلة ما قبل التاريخ. مرحلة عهد الإمبراطوريات. مرحلة التجزئة السياسية. مرحلة الاستعمار.

وسنتناول هذه المواضيع جزئيا في المحور الآتي ولن نفصل الكلام فيها وذلك – نظرا – لضيق فضاء هذا البحث.

ثالثا: حضور اللغة العربية في جمهورية مالي

من المعلوم حسب الموروث التاريخي والحضاري لمالي أن اللغة العربية شهدت خلال تاريخها فترات من الازدهار والتطور فيها وخاصة في أيام الإمبراطوريات والممالك ، وقد تمتعت اللغة العربية بمكانة متميزة فيها ؛ حيث استقرت العربية في غالبية أنحاء جمهورية مالي منذ وقت طويل يسبق دخول أي لغة من اللغات الأوربية إليها ، وتحدث بها عدد كبير من الماليين وانتشرت بينهم انتشاراً كبيراً ، بينما تتراجع هذه المكانة تدريجيا كلما اتجهنا صوب وسط جمهورية مالي وجنوبها، فما زالت اللغة العربية والثقافة الإسلامية تتمتعان بحضور قوي في دول غرب أفريقيا وخاصة في السنغال ومالي والنيجر وجامبيا وغينيا ونيجيريا، فالعربيَّة – بلغة الأرقام – هي أكثر لغات القارة الإفريقية انتشاراً.

ذكر العلاّمة ابن خلدون، (إنّ اللغة العربية دخلت إلى إفريقيا قبل خمسة آلاف سنة، عبر المداخل الجنوبية والشمالية لساحل البحر الأحمر)، وأطلقوا على ساحل أريتريا آنذاك، اسم بلاد الحبشة وبلاد (الزيلع)[3]، وهذا ما يؤكده الباحث الأفريقي الدكتور آدم بمبا بقوله :إنَّ حضور اللُّغة العربيَّة بالقارَّة، من ناحية تاريخيَّة، حضورٌ قديم، سبق ظهور الإسلام بها، وذلك في مناطق الشَّرق الإفريقي، وبالتَّحديد: منطقة القرن الإفريقي، أمَّا في المناطق الدَّاخليَّة الأخرى فإنَّ الحضور العربيَّ بها قد رافق الحضور الإسلاميَّ في حدود القرن الثاني الهجري (الثَّامن الميلادي)[4].

واللغة العربية هي أكثر اللغات تحدثاً ونطقاً ضمن مجموعة اللغات السامية، وإحدى أكثر اللغات انتشاراً في العالم، يتحدثها أكثر من 467 مليون نسمة، ويتوزع متحدثوها في الوطن العربي، بالإضافة إلى العديد من المناطق الأخرى المجاورة كالأحواز وتركيا وتشاد ومالي والسنغال وإرتيريا وإثيوبيا وجنوب السودان وإيران.[5] لهذا يقول توماس أرنولد: " إن العربية أصبحت لغة التخاطب بين قبائل نصف القارة الإفريقية"[6].

ويقول أحد علماء نيجيريا عن مركزية اللغة العربية في عهد دولة فودي في نيجيريا التي أسسها الشيخ عثمان بن فودي في القرن الثالث عشر الهجري (19 ميلادي): "وقد كانت اللغة الوحيدة التي دُوِّنت بها جميع تقارير الإمبراطورية في القرن التاسع عشر، كما أن جميع الأحكام في المحاكم الشرعية حتى بعد سيطرة الاستعمار كانت تسجّل بها في كثير من الإمارات الإسلامية إلى وقت قريب"[7].

وفي هذا الإطار يشير الدكتور يوسف الخليفة أبوبكر إلى تواصل الناس باللغة العربية يقول: "فلم يكن التواصل بين الشعوب والقبائل المتكلمة بهذه اللغات"، يعنى اللغات الإفريقية" ولاسيما بين المسلمين منهم سوى بلغة القرآن التي تجمع بين سائر المسلمين"[8]

وعليه، لقد تمّ تأسيس أول مدرسة فرنسية في مدينة جِنِي في عام 1908م[9]، ثم مدرسة تمبكتو 1910م.

وانعكاساً لهذه التراتبية؛ أخذت السلطات الاستعمارية اللغة العربية كلغة التعليم في هذه المؤسسة في بداية الأمر، وتَمَظْهَرَتْ المدارس الفرنسية بالتعليم العربي والإسلامي. كان هذا البرنامج بمثابة جسر لوصول المستعمر إلى بُغيتِه، وهو تعليم اللغة الفرنسية، وإبعاد التعليم العربي.

ورغم كلّ الجهود التي تبذل لمحاربة وتهميش العربية، والوضع الدقيق الذي تمرّ به الثقافة العربية في جمهورية مالي، والطمس الممنهج للحرف العربي، فإن اللغة العربية متجذرة في جمهورية مالي، ولايمكن القضاء عليها، فهي جزء أساسي من الواقع اللغوي، والثقافي، والحضاري في جمهورية مالي.

وفي دولة مالي تعد اللغة العربية –المتمثّلة في اللهجة الحسّانية–إحدى اللغات الوطنية الأساسية المفصّلة في القانون المتضمن كيفية ترقية اللغات الوطنية، والذي حرره واعتمده المجلس الوطني للنوّاب في آب 1996، وتولت رئاسة الجمهورية نشره وإذاعته. وبناءً على هذا القانون تتمتع هذه اللهجة بكافة الحقوق المكفولة لسائر اللغات المحلية، وتلعب نفس الأدوار، كالتوعية، وعرض نشرة الأخبار في الإذاعة والتلفزة الوطنية. إذ تمّ التوسع في البثّ باللغة العربية، فالتلفاز الرسمي يبثّ ساعة للأخبار باللغة العربية أسبوعيا....

وأصبح للعرب وجود شرعي بمالي كغيرهم من المواطنين الماليين، ويسكن المواطنون العرب في مناطق متعددة: الشمال الغربي – نيورو–ونارا–على الحدود الموريتانية والجزائرية حيث يجاورون القبائل الفلانية، والسراكولية، وفي المناطق الشمالية: تمبكتو وغاوو وكدال، ينتشرون بين القبائل: صنغي، الطوارق، ويشتهرون رسميا بالحسّانيين.

وفي 8 مايو1911م صدرت عن وليام بونتي حاكم فرنسا في أفريقيا الغربية دوريته الشهيرة التي جاء فيها: » إن العربية لم تدخل البلاد الأفريقية إلا مع الدعوة الإسلامية، وهي اللغة المقدسة في نظر الأسود « . ويختمها موجهاً كلامه إلى مرؤوسيه من الحكام في غرب أفريقيا:» إني إذن مضطر لآمركم بأنه من الآن فصاعداً يجب أن تُحرَّر الأحكام الصادرة عن القضاء الأهلي بالفرنسية وحدها، وكذلك نُسخ الأحكام التي تُسلَّم إلى من يهمهم الأمر يجب أن تُكتب بلغتنا. وعليكم أن تُعطوا هذه التعليمات نفسها عند كتابة الوثائق الإدارية . كيفما كانت طبيعتها . التي من شأنها أن تُرفع إلى علم الأهالي سواء كانت رسائل أو ملصقات. وفي السياق نفسه عليكم أيضاً أن تدعوا حكام الدوائر إلى إخبار المحكومين من الأهالي بأن طلباتهم وملتمساتهم التي لا تُحرر بالفرنسية لن يتلقوا عنها أي جواب «[10]. فمن هنا بدأ الاستعمار اللغوي تجاه الأفارقة.

وحين تحدث أبو عبيد البكري في القرن الخامس الهجري عن مملكة غانة . وهي أقدم الممالك في أفريقية الغربية[11]قال: إن تراجمة الملك وصاحب بيت ماله وأكثر وزرائه ومن يتولون إدارة دواوينه كلهم من المسلمين لأنهم وحدهم الذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة، وكانت العربية بطبيعة الحال هي اللغة التي يستعملونها فيما يقرأون ويكتبون[12].

بناءً على المعطيات المذكورة وغيرها من الاعتبارات؛ فإنَّ اللُّغة العربيَّة سبقت أن رشحت إبان الاستعمار لأن تكون اللُّغة المشتركة الجامعة للدُّول الإفريقية الحديثة. وقد ذهب إلى ترشيحها بوصفها لغة مشتركة لحركة إفريقيا الكبرى (Panafricanisme)، وحركة النِّيغرتود (Negritude)، ودعا إلى تعميمها بوصفها لغة غير غريبة على القارَّة، يقول المؤرِّخ إدوارد بليدن (1852م – 1912م)Edward W. Bleyden: «إنَّ لَممَّا يؤسى له في حال الإنجليزيَّة، وغيرها من اللُّغات الأوروبيَّة في هذا الجزء من إفريقيا، أنَّها قد أتت إلى شعوب إفريقيا وهي مقرونةٌ بالفُرقة والقهر، وخالية من أيِّ محتوى روحيٍّ، بينما ينظر الأفارقة إلى العربية بوصفها لغة دين وإعمار، وأنَّها لغة روحيَّة»[13]هذا من جانب، ومن جانبٍ آخر؛ فإنَّ حضور اللُّغة العربيَّة في بلدان إفريقيا بوصفها لغةً رسميَّة حضورٌ ضعيف، فهي رسميَّة – وحدها – في السُّودان، وموريتانيا،[14]وجاء الاعتراف بها بموريتانيا عن طريقٍ عسيرٍ عبر احتجاجاتٍ واضطراباتٍ بين مناصري الفرنكوفونيَّة ومناصري العربيَّة[15].

ومع ذلك، نجد اليوم اللغة الفرنسية تستعمل على نطاق واسع في الإدارات الحكومية، ونجد أنها في الواقع هي اللغة العملية للدولة.

ففي هذا السياق، ممكن أن نقول إن الأسباب التي أدت إلى عجز المجتمع المالي الراهن عن تطبيع علاقته الكاملة مع اللغة العربية يعود إلى الغياب الفعلي والمستمر لتخطيط ورسم خريطة جدية وذات كفاءة عالية من القيادات السياسية لهذا المجتمع في كل القطاعات.

رابعا: عوامل انتشار اللغة العربية بغرب أفريقيا وفي جمهورية مالي

وقد لعبت في ذلك بعض العوامل دورا كبيرا منها ما يأتي:

دخول الإسلام إلى إفريقيا: وما أحدثه فيها من تطور ديني وفكري، أدى إلى قيام نهضة علمية شاملة، وازدهار حركة التأليف والتدوين والكتابة والنسخ وتطورها. قيام الممالك الإسلامية في إفريقيا: مكّنت الممالك للغة العربية، وجعلت منها لغتها الرسمية، ودوّنت بها تاريخها، إلى درجة أن بعض الباحثين أشار إلى أن شهرة الممالك الإسلامية لا ترجع فقط إلى عظمتها وطول عمرها، على الرغم من أهمية ذلك؛ وإنما كذلك لكثرة ما خلّفت هذه الممالك من وثائق ومؤلفات وكتابات باللغة العربية[16].

إنشاء المدارس التعليمية والحلقات لتحفيظ القرآن الكريم، وجامعات ومدارس علمية، وفي هذا يقول محمد العقيد: "ونما في ظل مؤسسات التعليم والبحث التي انتشرت بانتشار الإسلام في أنحاء متفرقة من إفريقيا، وساعدت على نشر المخطوطات، ومن أبرز تلك الجامعات " جامعة تمبكتو" الشهيرة، وقد مثّلت " جامعة سنكوري" نموذجا حيا يشهد على ازدهار صناعة المخطوطات في تمبكتو"[17]..

دور الحركات الدينية: ظهرت العديد من الحركات الدينية ذات الأهداف الدعوية والتربوية، مثل "حركة الشيخ عثمان بن فودي"[18](1754-1817م)، وحركة "الحاج عمر تال" (1796-1864م)، وحركة "ساموري توري" (1835-1900م)، "فقد جعلت تلك الحركات اللغة العربية لغتها الرسمية في القضاء والفتاوى وجميع العقود والمراسلات، كما أنها أسهمت بجهود كبيرة في نشأت حركتي التأليف والنسخ وتطورهما"[19].

تشجيع الأمراء والسلاطين والوزراء في الممالك الإسلامية. وقد لا حظ ذلك الحسن الوزان عند زيارته لمملكة مالي (مندن) وذكر: "أن الملك ينفق بسخاء على عدد كبير من الأطباء والقضاة ورجال الدين والفقهاء والآخرين[20]..الشيوخ والعلماء: فالناظر في الثقافة العربية الإسلامية بغرب إفريقيا كما يقول البروفيسور عز الدين موسى: "يجد أن خير مقياس لها هي: عدد العلماء، وعدد الطلاب، وتنوع أماكن التعليم، حركة التمدن، الكتب الواردة، والمكتبات الخاصة، ودرجة اتساع التأليف. وفيما يخص عدد العلماء يذكر السعدي صاحب تاريخ السودان أنه عندما أسلم سلطان جنى كان بها 4200 عالما"[21].

وفي هذا يقول الدكتور إبراهيم طرخان متحدثا عن مملكة غانة الإسلامية: "كانت اللغة العربية هي لغة العبادة والثقافة الوحيدة في البلاد، وهذا بجانب كونها لغة التجارة المستعملة في التبادل التجاري والمكاتبات". ويذكر الدكتور عبد العلي الود غيري أيضا: "أن هذه اللغة احتلت في غانة، وفي غيرها من بلاد السودان الغربي والأوسط، المكانة التي احتلتها اللغة اللاتينية في أوروبا في العصور الوسطى. بل زادت عليها، "إذ بقيت اللغة العربية بتلك البلاد لغة الدين والثقافة حتى في العهد الاستعماري، بينما زالت اللغة اللاتينية تدريجيا أمام زحف اللغات الجرمانية القومية بأوروبا في العصور الوسطى، بل أكثر من هذا"[22].

ويقول إبراهيم طرخان: "شهد بعض المكتشفين والمستعمرين في مطلع العصور الحديثة بأن إلمام سكان غربي إفريقيا باللغة العربية يفوق إلمام أوروبا باللغة اللاتينية في العصور الوسطى"[23].

ولكن مع دخول الاستعمار الغربي، وبخاصة الفرنسي، إلى المنطقة، في نهايات القرن التاسع عشر الميلادي، أصبحت اللغة الفرنسية لغة التعليم والإدارة والتواصل الرسمي في جلّ دول غرب إفريقيا، وبذلك بدأت مرحلة عزل اللغة العربية وتنحيتها عن كلّ المواقع الرسمية، لكنها مع ذلك وجدت الملاذ الآمن عند السكان المحليين، مما حفظ لها البقاء في دائرة ضيقة في بعض الدول.

لقد حارب الاستعمار بتعاون وثيق مع الكنيسة المسيحية لغة القرآن الكريم، والتعليم الإسلامي محاربة لا هوادة فيها، واتخذت هذه الحرب أشكالا متعددة. وقد اختصر الدكتور عبد العلي الودغيري أشكال محاربة اللغة العربية في النقط التالية:

فرض الحصار على المدارس القرآنية والدينية ومنع انتشارها وتقليص عددها وفرض قيود شديدة عليها.

منع استعمال اللغة العربية وتداولها في كل المجالات الإدارية والسياسية والاقتصادية والقضائية والتشريعية والثقافية، وإحلال الفرنسية محلها في كل ذلك.

محاربة الحرف العربي الذي كانت تكتب به اللغات المحلية، وإحلال الحرف اللاتيني محلّه.

التشنيع على اللغة العربية، وشن حملات إعلامية تضليلية لتشويهها وتنفير الأفارقة منها، واتهامها بكونها لغة عقيمة ومتخلفة ولا تصلح لمواكبة العصر ولا يمكن أن يساعد على تطوير هذه الشعوب التي يراد تحضيرها وتمدينها في زعمهم.

وضع مخططات رهيبة لفرنسة التعليم والإدارة والحياة العامة، تخصيص ميزانيات ضخمة لفتح المدارس الفرنسية الحكومية، الأهلية، والمتخصصة ذات الأشكال العديد المتنوعة،[24] وإغداق الأموال الطائلة عليها[25].

إطلاق يد البعثات التنصيرية لفتح مدارسها في كل أنحاء إفريقيا وتوفير كل أشكال الدعم والتشجيع الحماية التي تطلبها لمزاحمة المدارس الإسلامية وتنشئة أجيال جديدة من الأفارقة على غير دين الآباء وثقافتهم.[26] ومن أجل هذا يقول الدكتور يوسف الخليفة أبو بكر: » فإذا أردنا أن نختار لغة من اللغات الأفريقية الكثيرة لكي نرشحها لتكون لغة أفريقيا الرسمية لوجدنا العربية على رأس اللغات الثلاث الكبرى التي يمكن أن تحظى بهذا الشرف « ، ويقصد باللغات الثلاث الكبرى : العربية والسواحلية ولغة الهوسا[27].

خامسا: الفرنكوفونية وصراع الثقافات في قطاع التعليم بمالي

أولا: الاستعمار اللغوي في جمهورية مالي

قبل أن نخوض في الموضوع يجب علينا أن نطرح سؤالا مهما، وهو لماذا جعلت اللغة الفرنسية لغة رسمية في البلاد بدلا من اللغة العربية أو بدلا من إحدى اللغات الوطنية الأخرى؟

وللإجابة عن هذا السؤال نقول: إن الاستعمار الفرنكفوني ركز على محاربة تعليم اللغة العربية واللغات الوطنية، كما سبقت الإشارة إلى ذلك ؛ وفي هذا يقول الميلي: "ولم يكن هذا كافيا لديهم بل سلط على الشعب الإفريقي مجموعة إجراءات قانونية شملت كل ميادين الحياة، بحيث أصبحت كل الفئات الاجتماعية مضطهدة، ذلك لأن طبيعة الاستعمار الفرنسي في إفريقيا الغربية يجعل منه نظاما قهريا شاملا، وذلك يعني أن اللغة العربية أصبح محكوما عليها بأن تفقد خاصيتها بوصفها أداة تعبير عن آراء الشعب الإفريقي، طالما أن الاستعمار لا يعترف بوجود الشعب الإفريقي سواء بوصفه يشكل أمة، لها ماض وتاريخ، أو بوصفه مجتمعا مغايرا تعترف الإدارة الاستعمارية بشخصية له متميزة عن فرنسا ومغايرة لها"[28].

وعليه ، فإن الفرنسية أصبحت لغة علمية وثقافية و تعليمية و إدارية في جمهورية مالي ؛ إذ عرفت حضورا قويا فيها، بعد الحرب الشرسة التي قادها « جوزيف سماليني و أرشينار بين (1850-1916) على مالي، وخاصة الفوز الساحق الذي حقق ضد Samori Toure سنة 1900 والقضاء على المنطقة»[29]، فعمل الاستعمار على الحد من الانتشار الواسع لبعض اللغات المالية،

خاصة العربية و اللغات الأكثر انتشارا بمالي إلا اللغة البمبرية ، ومع ذلك فقد حدد G. Dumester و C. Canut «عدد الناطقين الحقيقيين بها في 4% »[30] لانطلاقهما من مبدإ أن جمهورية مالي ليست غارقة في الفرانكفونية[31].

انتهت مرحلة الاستعمار العسكري في دول إفريقيا، والأمر في كثير من الدول الإفريقية كما تصفه الكاتبة «إيف ديسار»: «البيض لا يزالون في إفريقيا، ولا يزالون يقومون بدور هام، لقد تخلوا على الأقلّ في الظاهر — في السنغال مثلاً –تخلوا عن امتيازاتهم، ولكن وجودهم لا يزال عاملاً بارزاً، إن لم نقل أساسياً، في مختلف الإدارات، فهم يؤثرون على

سياسة الاستيراد والتصدير، ويمتلكون ويدرون أكبر البيوتات التجارية نشاطاً، أمّا التربية والنشاطات الثقافية والاجتماعية فإنها لا تزال كما كانت في السابق مرتبطة بهم»[32].

ومن وجهة نظر الجغرافية، تغطي «الفرنكوفونية» فضاء لغويا يتألف من 35 بلدا يصل مجموع سكانهم إلى 290 مليون نسمة لا يتكلم منهم اللغة الفرنسية سوى 91 مليونا (1.9% من مجموع سكان العالم). ومن مجموع هؤلاء السكان لا تتجاوز نسبة الذين يتقنون الفرنسية 1.4 % (أي 62 مليونا من أصل 290 مليونا). وإذا حذفنا من هؤلاء سكان فرنسا وكندا وبلجيكا، فإنه لن يبق سوى 12 مليونا من «الفرنكوفنيين» موزعين على 32 دولة ويمثلون 6% من مجموع سكان ما يدعى بالقمة الفرنكوفونية.

وحتى لو أجرينا عملية مونطاج لنصل إلى عدد الـ 36 مليونا من الفرنكوفونيين، وهو الرقم الفعلي الذي يتم تقديمه بكثرة، فإننا لن نحصل آنذاك سوى على ساكنة تناهز حوالي 0.7 من مجموع سكان العالم[33].

عليه؛ فإنَّ الفرنكوفونيَّة سرعان ما تحوَّلت إلى حركة فكرية ذات بُعد أيديولوجي، تهدف إلى تخليد قيم (فرنسا الأمّ) في كلّ مستعمراتها التي خرجت منها عسكرياً، وذلك من خلال اعتماد اللغة الفرنسية بوصفها ثقافة مشتركة بين الدول الناطقة بها كلياً أو جزئيا[34].

ومن جملة هذه السياسة اللغوية إن بريطانيا خصصت ميزانية سنوية "قدرها 200 مليون جنيه إسترليني لنشر اللغة الإنجليزية من خلال برامج " تعليم اللغة في هيئة الإذاعة البريطانية "المدعومة ماليًا من القطاع الحكومي. وبرامج " سلسلة تعليم الإنجليزية " من خلال الإذاعة والتلفزة، تصل إلى جمهور أكبر من جمهور برامج أي لغة أخرى في العالم "[35].

ورغم هذا لم نسمع حتى الآن – مع الأسف–عن تكوين رابطة عربية قوية، ونأمل أن يتجه العرب إلى مثل ذلك، فيكونوا وحدة عربية حقيقية تقوم على وحدة اللغة والثقافة والتاريخ، وتحقق التعاون الإسلامي المتكامل على المستويات السياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية. ولا سيما أن مقومات هذه الوحدة متوفرة إلى حد كبير وفي مقدمتها الوحدة اللغوية.

فقد أقرت الحكومة الفرنسية في 5 مايو سنة 1994م قانون إلزام الفرنسية الذي يمنع أي مواطن فرنسي من استخدام ألفاظ أو عبارات أجنبية طالما أن هناك ألفاظا أو عبارات مماثلة. والمجالات التي يسرى عليها الحظر هي:

- كافة الوثائق والمستندات والإعلانات المسموعة والمرئية.

- كافة مكاتبات الشركات العاملة على الأرض الفرنسية، وبوجه خاص المحلات التجارية، والأفلام الدعائية التي تبث عبر الإذاعة والتلفزيون. وعقوبة المخالفة تتضمن السجن أو غرامة مالية[36].

وفي هذا السياق، فإن اللغة الفرنسية في جمهورية مالي؛ تعتبر عملة الولوج للمناصب المؤثرة، ولهذا عمدت مؤسسات التعليم الخاص والأهلي، إلى التنافس في تقديم نفسها على أنها الأقدر على تزويد الطلاب بهذه العملة السحرية.

يقول وليام مارسي: «**إن اللغة العربية لغة المحكومين لا بد أن تختفي، فتترك مجالاً للغة الحاكمين، الفرنسية أكثر وضوحاً ونجاعة، والأقدر على تسيير الانتقال إلى الحضارة الحديثة**»[37]

وتخبرنا الإحصائيات أن عدد المتحدثين باللغة الفرنسية يبلغ 274 مليون شخص في القارات الخمس.

وبحسب التوقعات، سيصل عدد المتحدثين بها إلى 770 مليون شخص بحلول عام 2050 [38].

ويخبرنا التاريخ كذلك أن بعض اللغات وجِدت فعلاً وتطوَّرت كمّاً وكيفاً بفضل قرارٍ رسمي يمثِّل السياسة اللغوية للدولة. فاللغة الفرنسية، مثلاً، لم يكُن لها وجودٌ فعلي في الدوائر الرسمية بفرنسا قبل قرار اتخذه الملك فرانسيس الأول سنة 1539 يقضي بجعل لغته الفرنسية لغةً رسمية في الإدارة والمحاكم، على الرغم من وجود حوالي 24 لغة ولهجة وطنية في فرنسا في مقدِّمتها: الألزاسية، والكتلانية، والكورسيكية، والبريتونية، والغالية.

ولم تدوَّن قواعد اللغة الفرنسية إلا في سنة 1550. واليوم يمنع القانونُ الفرنسي رقم 94. 665 الصادر بتاريخ 1994/8/4 (المعروف باسم قانون توبون، وتوبون هو وزير الثقافة آنذاك

(قانون توبون). استخدامَ اللغات الوطنية الأخرى استخداماً رسمياً[39].

ثانيا: إحصائيات الفرانكفونية

يرى حرّاس الفرانكفونية أن اللغة الفرنسية تحتل الآن المرتبة الخامسة في العالم (بعد الصينية والإنكليزية والإسبانية والعربية) من حيث عدد الناطقين بها. ويؤكدون أن مستقبلها سيكون في إفريقيا لأن هذه القارة يتزايد عدد سكانها بسرعة، وسيفوق عدد الناطقين بالفرنسية في إفريقيا عدد الفرانكفونيين في بقية العالم.

وتشير أرقام هؤلاء إلى أن المغرب العربي الكبير فضاء فرانكفوني يبلغ عد الناطقين بالفرنسية فيه يوميا 52% في تونس و35% في المغرب و33% في الجزائر. ونحن نستغرب في مصداقية هذه الأرقام. وهم يتأسفون على كون هذه النسبة لا تتجاوز 17% في مالي والنيجر وتشاد، وهي دون 33% في السنغال وساحل العاج، ومحصورة بين 50% و60% في الكونغو.

يقول المستشرق الألماني بروكلمان: "بفضل القرآن بلغت العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أي لغة من لغات الدنيا، والمسلمون جميعا مؤمنون بأن العربية وحدها اللسان الذي أحل لهم أن يستعملوه في صلواتهم، وبهذا اكتسبت العربية منذ زمان طويل مكانة رفيعة فاقت جميع لغات الدنيا الأخرى"[40].

وقد عملت فرنسا على إنشاء مدارس ومعاهد يتوفر فيها التعليم العصري، مع مكافأة مالية للتلاميذ، وتشجيعهم بإرسالهم في بعثات تعليمية قصد إكمال المرحلة الثانوية والجامعية. وقد سبب ذلك في تقويض مالي ثقافيا، إذ جعلتها تُقنّن اللغة الفرنسية لغة رسمية في المادة {25} من دستورها التي تنص على أن: "الفرنسية هي اللغة التعبيرية الرسمية، يحدد القانون طريقة تأهيل وترسيم اللغات المحلية"[41].

"ويجب علينا الإقرار بأننا نتذكر أن الاستعمار قد أدخل لغته بال «إكراه»، وأنه بدل ما في وسعه لخلق نخبة من الأهالي لترسيخ الثقافة الفرنسية في البلاد، وإنتاج ظاهرة مثاقفة، محدثا بذلك –في النسيج الاجتماعي–جماعة محظوظة على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي تعمل على حماية مصالحه وتأييد الاحتلال الأجنبي ونشر نمط للحياة والتفكير غريب عن الحضارة العربية الإسلامية. "[42].

إنَّ التَّحدي الفرنكفوني للغة العربية، ولغيرها من اللُّغات بإفريقيا وثقافاتها، له جذورٌ بعيدة في المسيرة الاستعماريَّة والإمبرياليَّة الفرنسيَّة للشُّعوب، ومن أبرز مظاهر المحاربة الاستعماريَّة الفرنسيَّة للغة العربيَّة بإفريقيا خاصَّة، هي غرسُ

المستعمِر في نفوس المثقفين بالثَّقافة الفرنسيَّة معاداة مقيتة للغة العربية والثقافة الإسلامية، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، فأبعد اللغة العربية عن الساحة الفكرية والسياسية، وفرض لغته ورفعها على غيرها، وجعل دارس اللغة الفرنسية هو المثقف الحقيقي، وأما دارس اللغة العربية فيُعامل كالأميّ مهما بلغت رتبته العلمية والثقافية، ومن هنا أبعدوه عن أية مشاركة في العمل الثقافي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي في بلاده ومجتمعه، وجعلوا المكان المناسب له هو المسجد فحسب[43].

بالمقابل؛ فإنَّ النخبة «المفَرْنَسَة (francisé) «هي صاحبة الحظ في كلِّ المجالات السِّياسيَّة والثَّقافيَّة، ولا يهمُّ أن تعيش هذه النُّخبة مغتربة وسط أهلها، بعيدة عن الواقع الاجتماعي والثقافي والاقتصادي لمجتمعاتها، موالية بإطلاق للثقافة الفرنسيَّة التي ينتمون إليها[44] ولغتها الفرنسية، وهي مقتلعة من جذورها ومنقطعة عن هموم شعبها، متباهين بتقاليد فرنسا وعادات أهلها، بل رسخ في أذهانهم أن لا ثقافة ولا تاريخ خارج ثقافة فرنسا ولغتها.

عليه؛ لا يخفى أنَّ تحديات هذه النخبة «المفَرْنَسَة» لَمِنْ أكبر التحديات التي تواجه اللغة العربية ودارسيها في غرب إفريقيا، لأن مقاليد الأمور، سواء كانت سياسية أو تعليمية أو ثقافية بأيديهم، يتحكمون في وضع السِّياسات التَّعليميَّة، والبرامج الثَّقافية والتربويَّة كما يحلو لهم. كذلك، يظهر التَّحدي أمام اللُّغة العربيَّة من قِبَل المؤسَّسات الكنسيَّة المسيحيَّة الخادمة لأهداف الفرنكوفونية، في توفيرها سُبل العلم بالمنح السَّخيَّة في جميع المجالات العلميَّة، وتوفير فُرص العمل لخريجي المؤسَّسات التَّعليميَّة الفرنسيَّة.

الواقع أن اللغة الفرنسية إذ كانت تبسط في السابق نفوذها على مستعمرات كثيرة، أضحت اليوم تعاني صراعا ''قاتلا'' مع لغات حية أخرى أقوى، بخاصة الإنجليزية، التي تحولت إلى لغة علمية واجتماعية تربط بين مشارق الأرض ومغاربها[45].

لقد ساهمت عوامل عدة في ضعف وجود اللغة العربية، وعدم انتشارها بصورة مناسبة، أيام الاستعمار وبعد الاستقلال، نجملها في الآتي:

- **1**جهود المستعمرين في إقصائها وإضعافها بشتى الوسائل، مع بقاء لغاتهم إلى اليوم لغات رسمية للتخاطب والتعامل, وفرضها لغة للتعليم.

- 2 أن تعليم اللغة العربية كان مقصوراً على الزوايا، فلم ينتشر في المجتمعات بصورة مناسبة واسعة.

- 3 أن اللغة العربية لا تُستعمل لغة للتخاطب والتحدث بين المتعلمين أنفسهم، كما في بقية المجتمع، بل يضطر المعلم إلى شرح الكتاب العربي باللهجات المحلية لتلاميذ.

- 4 ندرة الكتاب العربي وقلة انتشاره في أوساط المتعلمين وسائر المسلمين.

فلو قامت البلاد العربية بما قامت ولا تزال تقوم به فرنسا مثلاً، لكانت مراكز تدريس اللغة العربية الآن قد تجاوزت اللغة الفرنسية وغيرها من اللغات القوية. ففرنسا تنفق سنوياً مبالغ طائلة من أجل نشر لغتها لمقاومة هيمنة اللغة الانجليزية –على سبيل المثال لا الحصر – عن طريق افتتاح دورات مجانية لتعلم الفرنسية ومحاولاتها في أفريقيا لنشر خلافات حول اللغة العربية ولإعاقة مبادرات التعريب هو نتيجة فهمها لقوة العربية وما يحمله ذلك من خطر يُقلص من هيمنتها[46].

سادسا: التطوير البيداغوجي لتعلم العربية بمالي لمواكبة المتغيرات العالمية

يرى «مزروي» أن الجامعة الإفريقية أشبه بشركة ثقافية متعددة الجنسيات، نظراً لما توحي به من تبعية فكرية، ويخشى «نيرري» أنّ يكون الهدف الرئيس للتربية في إفريقيا تحويل الأفارقة إلى سود أوروبيين أو أمريكيين، ويرى «أيندلي» أن الجامعات الإفريقية حاملة ثقافياً، تمثّل طبقة من الأفارقة ذات طلاء إنكليزي أو فرنسي أو أمريكي[47] .

وعليه، يرى عدد من التربويين والأساتذة المؤطرين في الميدان التربوي، أهمية المناهج المتطورة لجميع المخطط التنفيذي لقطاع تدريس اللغة العربية في المراحل الدراسية، لمواكبة المتغيرات العالمية المتسارعة في قطاع التعليم لبناء أجيال متسلحة بالعلم والمعرفة ومجابهة تحديات المستقبل، وتحقيق التنافسية العالمية في القطاعات كافة.

وعليه، فإن اللغة العربية بحاجة إلى تخطيط وسياسة لغوية بمنهجية واضحة للمصطلحات لتواكب مجتمع المعلومات في جمهورية مالي، وإذا كانت اللغة العربية في حاضرها اليوم، تعرف تقدماً ملموساً في جمهورية مالي، وتشهد من إقبال الباحثين عليها ما يثير ويبعث على التفاؤل والاطمئنان، فإنه لا مناصَ من القول بأن الوسيلة الوحيدة التي يمكن أن تخدم هذه اللغة وتعمل على تطويرها وتحسين وضعها هي تطوير المناهج التعليمية، ويحتاج النهوض بها إلى جهود كبيرة، من دول ومنظمات وهيئات وجمعيات وأفراد.

فمن وسائل تطوير المناهج التعليمية تدريس المناهج المتطورة في مخرجات التعليم في شتى المراحل الدراسية.

1- يجب أن يتم تطوير المناهج التعليمية بطريقتين:

أ-تكييف برامج التعليم العصري في اللغة العربية قصد جعلها مطابقة لحاجيات العالم العصري.

ب-تكييف برامج التعليم قصد جعلها مطابقة للواقع الجغرافي والتقني والفكري للبلاد.

وخلال المخطط الآتي فإنه يجب على اللجنة الوطنية للتربية والثقافة في جمهورية مالي، حل المشكلة بالشكل الآتي:

2- المواد العربية الإسلامية:

من المناسب أن نعطي مكانة راجحة للتعليم باللغة العربية، وأن لا نكتفي بالدوائر اللغوية والشرعية فقط فيها، وهذا ما أشار إليه الأستاذ الدكتور هارون المهدي ميغا[48]: لا شكّ في أنّه كان ينبغي للتعليم العربي في بعض مراحله أن يعيد ترتيب أوراقه، لإعداد خِرِّيجين في الجوانب الاقتصاديّة، والاجتماعيّة، والسياسيّة، والإداريّة، والإعلاميّة، والتربوية... إلخ، لكن هذا لم يحدث! أمّا معاهد الدول العربية وجامعاتها؛ فهي تغلق أبواب التخصصات غير الشرعية واللغوية ونحوها، كالتاريخ والحضارة والترجمة، في وجوه أبناء هذا التعليم إلاّ ما ندر. [49]. لأن هناك مخاطر تهدد اللغة العربية والتي تتمثل في مواصلة الاعتماد على اللغتين الفرنسية والانجليزية في تدريس العلوم والتقنية في أكثر الجامعات العربية. ينبغي منح اللغة العربية مكانة أكبر في التعليم، وجعلها لغة التدريس في المواد الإنسانية والعلمية، لأن اللغة تزدهر باستخدامها في البحث العلمي.

3- المواد العامة:

لا يمكن تدريس بعض المواد حاليا باللغة العربية في التعليم العالي في جامعات بماكو مثل: (رياضيات، علوم، طبيعية، فيزياء، كيمياء، وطب، وهندسة فلسفة، وغيرها من المواد العصرية) لأمور آتية:

أ-عدم وجود أساتذة مؤطرين متخصصين فيها باللغة العربية الذين يدرسونها؛ وانحصار مناهج المعاهد العربية في العلوم الشرعية والعربية: وجهل خريجيها باللغات الأوروبية والعلوم العصرية.

ب-الماليون (عدا بعض الاستثناءات القليلة) الذين يدرسونها أي (رياضيات، علوم طبيعية، فيزياء، كيمياء، وطب، وهندسة فلسفة، وغيرها من المواد العصرية) تلقوا تكوينهم باللغة الفرنسية؛

ج-المصطلح العربي العلمي بالخصوص، لم يتم ضبطه بعد في الدول العربية لا سيما في جامعات بماكو.

يجب ضبط لغة العمل العربية، ومصطلحات الأساس التقنية، وكذلك اللوازم التربية العصرية، وكل ذلك عناصر ضرورية للمقررات وتكوين الأطر التعليمية في جامعات بماكو.

عليه؛ فإنَّ مستقبل اللُّغة العربيَّة مرهونٌ بمدى نجاحها في الظهور في مختلف الصُّعد، خصوصاً في المجالات التي يتميَّز بها عصر المعلوماتيَّة.

سابعا: التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية في قطاع التعليم في جمهورية مالي

أولا: التعليم والسياسة اللغوية الرسمية

ظهر مصطلح السياسة اللغوية Planification Linguistiqueعام 1959على يد عالم اللسانيات الاجتماعية EINAR HANG الذي كان يسعى إلى بناء هوية وطنية للنيرويج بعد قرون من الهيمنة الدانماركية .[50] بناء على هذه الحركة اللغوية يمكننا الإدراك أن السياسة اللغوية ليست بالأمر الجديد .

وتدل الإحصاءات الخاصة باللغات الرسمية في أفريقيا على هذا الوضع المميَّز بسيطرة لغات القوى الاستعمارية. فهناك عشر دول (10) أفريقية فقط، من بين ثلاث وخمسين (53) دولة، تعترف برسمية لغات أفريقية محلية، منها اللغة العربية في تسع دول؛ أما الدول الست والأربعون الباقية فتعتمد رسمية لغات أجنبية هي لغات مستعمر الأمس؛ وتتوزع كالتالي: الفرنسية في واحد وعشرين (21) بلدا، والإنجليزية في تسعة عشر (19) بلدا، والبرتغالية في خمسة (5) بلدان، والإسبانية في بلد واحد.

ولقد اهتمت أدبيات السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي في بلدان أفريقيا ما بعد الاستعمار، بمحاولة تفسير أسباب هذا الوضع المتمثل في استمرار السياسات اللغوية الاستعمارية التي تُمكِّن للغات مستعمر الأمس في مجالات المجتمع الحيوية كالتربية والتعليم والإعلام والاقتصاد، الخ. على حساب اللغات الأفريقية.

وتؤكد أعمال كثيرة، ضمنها أعمال نشرت في السنوات الأخيرة، وجود عاملين رئيسين هما: التعدد اللغوي والإرث الاستعماري. وعلى هذين العاملين تَبنِي أغلبُ الآراء أسبابَ استمرار السياسات اللغوية الاستعمارية الموروثة، في مجالات كالتربية والتعليم خاصة، في بلدان أفريقيا ما بعد الاستعمار.

ومن أبرز هذه الأسباب ثلاثة: أ) تجنب الصراعات اللغوية–الإثنية في سياسات التعدد اللغوي في أفريقيا، مادام اختيار لغة أفريقية واحدة أداة للتربية والتعليم يثير حفيظة الآخرين الذين تُهَمَّش لغاتهم. ب) تعزيز الوحدة الوطنية، لأن اللغة الاستعمارية محايدة إثنيا؛ بمعنى أنها لا تنتمي إلى أي مجموعة إثنية محلية مخصوصة، أو تفَضِّلُها على غيرها[51].

يمكن النظر إلى التخطيط اللغوي بوصفه وضع الإجراءات المنهجية والعملية لتدبير الشأن اللغوي في البلاد بما يعود بالنفع على الدولة. ويستند هذا التخطيط إلى منطلقات ومرجعيات وغايات، ويقوم على دراسات لسانية واجتماعية واقتصادية وقانونية، وتنتج عنه سياسةٌ لغويةٌ تلتزم بها الدولة، وتعمِّم تطبيقها في جميع مجالات الحياة. وإذا كانت السياسات الأخرى كالسياسة المالية أو السياسة التربوية أو السياسة الصحية أو السياسة الإعلامية، مثلاً، تختصُّ كلٌّ واحدة منها بمجالٍ معيَّن، فإن السياسة اللغوية تهمُّ جميع المجالات في الدولة، لأن اللغة هي وسيلة التفكير والتعبير، والتواصل والتفاهم، وتراكم المعلومات وتوارثها، وأداة النفاذ إلى المعرفة في البلاد كلّها[52].

ثانيا: التخطيط اللغوي واللغة العربية في المؤسسات التعليمية الرسمية بمالي:

أولا: التعليم الابتدائي:

طبقت الحكومة نظام التعليم الثنائي (الفرنسية العربية) في بعض المدارس الرسمية في مناطق متعددة منها مدرسة سيدي محمود بتمبكتو، وغاوو، وكيدال وموبتي، وجني وسيكاسو وغيرها.

ونهج الشعب نفس المنهج ففتحوا مدارس على نفس المنوال كمدرسة الخلفاء ببامكو وغيرها .

ثانيا: التعليم الإعدادي:

قررت وزارة التربية والتعليم اللغات الاجنبية كمادة اختيارية في المرحلة الإعدادية، لكن غالبية التلاميذ يختارون اللغة الإنجليزية في هذه المرحلة ، ويختار العربية عدد قليل في بعض المناطق : تمبكتو ، جني ، موبتي ، كوليكرو.

ويخصص لهذه المادة ثلاث ساعات أسبوعيا.

ثالثا: التعليم الثانوي:

قررت الحكومة لوضع اللغات الأجنبية الحية الست في هذه المرحلة، وألزمت كل طالب اختيار لغتين أجنبيتين. واللغات المدروسة حاليا هي: الإنجليزية، والألمانية والعربية، والروسية، والإسبانية، والصينية. ويتم اختيار الأولى وفق ما درسه الطالب في المرحلة الإعدادية: الإنجليزية أو العربية، واللغات الأخرى تبقى دائما في الاختيار الثاني.

رابعا: التعليم التربوي في معاهد إعداد المعلمين:

افتتح معهد الهجرة التربوي عام 1997م في مدينة تمبكتو بقرار وزاري تلبية لحاجة المدارس العربية إلى مدرسين مؤهلين أكاديميا في شعبتين: شعبة الإ عداد العام لتكوين مدرسي المرحلة الابتدائية، وشعبة التخصص لتكوين مدرسي المرحلة الإعدادية.ولم أتوقف عنه بأي معلومات جديدة وذلك للظروف تحيط مدينة تمبكتو.

خامسا: التعليم الجامعي

أولا: المدرسة العليا لإعداد المعلمين

في العام الدراسي 1993-1999م أعلن افتتاح قسم اللغة العربية بالمدرسة العليا لإعداد المعلمين ENSUP يضم تعليم اللغة العربية إلى تعليم اللغات الأجنبية التي هي: الانجليزية والألمانية والروسية والعربية في كلية الآداب واللغات والفنون والعلوم الإنسانية.

وطرق الالتحاق بهذه الكلية طريقتان:

أ- طلاب حصلوا على شهادة الثانوية من المدارس العربية الإسلامية الأهلية.

ب-طلاب حصلوا على شهادة الثانوية الرسمية يلتحقون بالجامعة مباشرة.

خاتمة:

وقد تبين لنا من خلال دراستنا للموضوع إزاء هذه التحدّيات الفرنكوفونية الاستعمارية؛ أنّ دارسي اللغة العربية بمالي مطالبون -اجتماعيا وسياسيا-بحركةٍ إصلاحيةٍ ناجحة؛ ورؤية استراتيجية واضحة المعالم، وذلك من خلال ما يقترحه الباحث ويوصي به:

- بناء المشروع الحضاري للنهضة العربية بمالي والعمل على تطوير حيثيات الارتباط بين التوجّه الثقافيّ العربيّ والحضاري.
- مطالبة الدول العربية عامّة، والمؤسّسات التعليمية والثقافية فيها خاصّة، بتقديم مزيدٍ من العناية بمالي في استراتيجيتها الثقافية: وتنويع الاستراتيجيات للنهضة العربية بمالي، فلا تقتصر على الإطار الديني واللغوي فقط.
- مواجهة السياسة اللغوية الاستعمارية الفرنسية في تهميش اللغة العربية في صعيد مالي بالقوة.
- وضع خطة استراتيجية لمواجهة الأفكار الفرنكوفونية الاستعمارية المسمومة في تهميش اللغة العربية.
- وجوب عصرنة المناهج الدراسية العربية بمالي لمواكبة المستجدات.
- تكوين الأطر التعليمية المقتدرة والمؤهلة لتدريس العربية والعلوم الإسلامية في جميع مراحل التعليم ولاسيما المرحلة التعليم العالي.
- تنشيط اللغة العربية في الإنترنت: من المعلوم أن المحتوى العربي على الإنترنت ضئيل جدا، إذ لا يتجاوز مواقع الويب 1% من المواقع العالمية. إذ إن 80% من صفحات الموقع المتوافرة على شبكة الويب مكتوبة باللغة الإنجليزية. وهذا يظهر عدم اهتمام اللغة العربية على شبكة الإنترنت. فالحاجة ماسة الى ازدياد المحتوى العربي الرقمي على الإنترنت مثل المواقع التعليمية والإعلامية والثقافية والمكتبات الإلكترونية بالعربية وغيرها.
- لا بد من إثراء مصادر تدريس اللغة العربية على الشبكة العنكبوتية.

الهوامش:

1- CIA 2012, en ligne : https://www.cia.gov/library/publications/the-worl-factbook/geos/ml.html, consulté le : (15-11-2012) .(21.33(

2- http://www.assakina.com/news/news1/21400.html

3-محمد عثمان علي خير، عروبة أريتريا.. حقائق ووقائع، الطبعة الأولى، دار الجليل للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 2002، ص75.

4- انظر :اللغة العربية بإفريقيا.. تشخيص لواقعها واستشراف لمستقبلها.

5- أنظر: https://ar.wikipedia.org/wiki

6. نقلا عن الخليل النحوي، إفريقيا المسلمة، ط.1، دار الغرب الإسلامي، سنة 1993م،ص: 31.

7. أ. د. عبد العلي الودغيري، حوليات الجامعة الاسلامية بالنيجر، العدد الثامن عام 2002 م ص:15.

8. د. يوسف الخليفة أبو بكر، الحرف العربي واللغات الإفريقية، ص:.41

9-الحضارة الإسلامية في مالي ص 156

10-عبد العلي الودغيري، الفرنكفونية والسياسة اللغوية في المغرب، سلسلة (العَلَم)، الرباط، 1992م، ص 80-81.

11-يذكر البكري أن الأمويين كانوا قد بعثوا جيشاً لفتح غانة في صدر الإسلام وظلت منه بقية هناك. وكانت جيوش عقبة بن نافع الفهري قد وصلت سنة 46هـ إلى حدود مملكة برنو. ويقول القلقشندي إن أهل غانة كانوا قد أسلموا في أول الفتح. انظر: د. إبراهيم طرخان: إمبراطورية غانة الإسلامية، 1970م، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر،1970م، ص43-45. و د. شيخو أحمد سعيد غلادنثي: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، المكتبة الأفريقية، دار المعارف، دون تاريخ، ص 23-24.

12-طرخان، ص 45. وغلادنثي، ص .24

13-Bleyden, (1994, 70), quoted in: Mazrui, Alamin M. English in Africa: After the Cold War, (Clevedon: Multilingual Matters, 2004), 66.

14-وفي موريتانيا ورغم عروبتها فقد خاض مناصري اللغة العربية طريقاً شاقاً للاعتراف باللغة العربية كلغة رسمية للبلاد بدلاً من الفرنسية ، وقد وصل الأمر إلى درجة حدوث الإضطرابات والصدامات بينهم وبين مؤيدي اللغة الفرنسية داخل المدارس كما حدث عام 1966 ، ولم ينته الأمر إلا في عام 1978 مع إعلان العربية لغة رسمية للدولة. خلف ، عبد الرحمن (1990) : "اللسان العربي بين الانتشار والانحسار" ، سلسلة دعوة الحق ، عدد 101 ، رابطة العالم الإسلامي – مكة المكرمة. ص .83

15- خلف، عبد الرحمن: اللسان العربي بين الانتشار والانحسار، سلسلة دعوة الحق (عدد 101)، مكة: رابطة العالم الإسلامي، ص .83

16 . د. محمد صالح أيوب: التغيرات الاجتماعية الكبرى، ص: 3.

17 . محمد العقيد محمد أحمد، قراءة في المخطوطات العربية الإسلامية، مجلة قراءات إفريقية، العدد السابع محرم، ربيع اول 1422هـ، يناير . مارس 2011م، ص: 46.

18 . المرجع السابق، ص: .47

19 . المرجع السابق، والعدد نفسه، ص: 47.

20. المرجع السابق والعدد نفسه، ص: 46.

21 . محمد العقيد محمد أحمد، قراءة في المخطوطات العربية الإسلامية، مجلة قراءات إفريقية. العدد السابع محرم، ربيع اول 1422هـ، يناير . مارس 2011م، ص: 47.

22 . المرجع السابق، ص: 405.

23 . إبراهيم طرخان: إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر 1970م. ص:82.

24 . من هذه الأنواع من المدارس: مدارس أبناء الأعيان، مدارس بنات الأعيان، المدارس المزدوجة (فرنسية . عربية) الخ، ومن أغرب هذه الأنواع مدرسة الرهائن (Ecole des otages)، وهي خاصة بتعليم أبناء رؤساء القبائل الذين وقفوا موقف المعارض من سياسة الغزو الفرنسي، أُنظر د. الهادي المبروك الدالي ود. عماد هلال في : الإسلام واللغة العربية في مواجهة التحديات الاستعمارية بغرب إفريقيا، بيروت، 1996م ط: 1، ص: 126، نقلا عن مصادرهما.

25- عبد العلي الودغيري، اللغة العربية إلى أين. ص: 416.

26- علي يعقوب أستاذ محاضر وباحث في الجامعة الإسلامية بالنيجر:.الفرنكفونيَّة وتحدياتها للغة العربية في غرب إفريقيا قراءات أفريقية بتصرف

27-يوسف الخليفة أبو بكر : مكان اللغة العربية في لغات أفريقيا وثقافتها، ضمن كتاب : اللغة العربية المعاصرة، منشورات الألكسو، تونس 1990م.

28 . د. محمد الميلي، وضع العربية خلال العهد الاستعمار، مجلة اللغة العربية، السنة: 2005م، الجزائر.

29 - ينظر،http://www.idrc.ca/books/focus/829/chp01_f.html. (2006).

30- p; Trefaul341-

31–وقد دعمت فرنسا إنشاء المنظمة الدولية للفرنكوفونية في عام 1970 وهي تضمّ اليوم 84 دولة عضو ومراقبة لها علاقة خاصة باللغة الفرنسية. وتسهم هذه الفرنكوفونية المؤسساتية في تحقيق السلام والديمقراطية وحقوق الإنسان وتعزيز اللغة الفرنسية والتنوع الثقافي فضلاً عن تطوير الازدهار المشترك والدائم.

32–ساتي، مهدي (1415ه): اللغة العربي وصراع الثقافات في السنغال، مجلة دراسات إفريقية، العدد ، ص 178.

33––ال (U. A.M): الاتحاد الإفريقي والملغاشي (1961).

34–انظر: مجلة البيان، العدد 177، 17 يوليو – أغسطس 2002م، ص 29.

35-https://www.hespress.com/writers/54816.html.

36 https://www.hespress.com/writers/54816.html

37– انظر: www.la francophonie.org

38- https://www.diplomatie.gouv.fr

39– المصدر السابق ,

40– انظر عبد الكريم القلالي بعنوان : الِاسْتِعْمَارُ" اللُّغَوِي المعَاصِرُ ...وَحُلُمُ الِاسْتِقْلَالِ!https://www.hespress.com/writers/54816.html

41- Lois et décrets de la décentralisation, Assistance de république, 4ed nouvelle imprimerie Bamakoise 1999.

42–المصطفى الغربي ما وراء الفرنكوفونية من أجل كفاءة عبرثقافية وتعددة اللغات ترجمة: محمد أسليم

43–د. علي يعقوب، الجامعة الإسلامية بالنيجر.

44–انظر: ندوة الإسلام والمسلمون في إفريقيا، كلية الدعوة الإسلامية – طرابلس / ليبيا 1998م، ص 139.

45–عن مقال لمحمد أديب السلاوي بعنوان ''وجهة نظر: المغرب والفرنكفونية... إلى أين؟''، منشور بجريدة بيان اليوم الإلكترونية بتاريخ 2012./04/24

46–انظر : -http://blogs.aljazeera.net/blogs/2018/9/22

47–مجلة مستقبليات، المجلد الثاني والعشرون / العدد الثاني – 1992م، ص .276

48– أستاذ التعليم العالي بجامعة بماكو وفي عدد من الجامعات الحرة ببماكو .

49–انظر: اللغة العربية وظلم ذوي القربى، ص70 – 73، مجلّة الحجّ والعمرة، وزارة الحجّ، السعودية، سنة 61 – عدد 9، رمضان 1427ه / أكتوبر 2006م.

50– انظر : لويس جان كلفي ، السياسة اللغوية ، ترجمة ، محمد ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط أولى 2009 ص ، 8

51– محمد غالم من جامعة محمد الخامس، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب.https://www.hespress.com/orbites/430702.html

52– (للتوسع في الموضوع يُنظَر: بجيوي، الفاسي الفهري، كوبر، المسدي).

قائمة المصادر والمراجع :

1– إبراهيم محمود ، آفاق تطوير اللغة العربية في بلاد المسلمين. منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ ايسيسكو، الرباط ـ المغرب عام 1426هـ ـ2005م.

2– جو البكري عبيد عبد الله ، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد.

3– خلف ، عبد الرحمن (1990) : "اللسان العربي بين الانتشار والانحسار" ، سلسلة دعوة الحق ، عدد 101 ، رابطة العالم الإسلامي – مكة المكرمة.

4– د. محمد الميلي، وضع العربية خلال العهد الاستعمار، مجلة اللغة العربية، السنة: 2005م، الجزائر.

5– د. يوسف الخليفة أبو بكر : مكان اللغة العربية في لغات أفريقيا وثقافتها، ضمن كتاب : اللغة العربية المعاصرة، منشورات الألكسو، تونس 1990م.

6– السعدي الشيخ عبد الرحمن ، تاريخ السودان، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان

7– طرخان إبراهيم ، دولة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة عام 1983م.

8– طرخان إبراهيم ، الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي، مصر عام1969م.

9– طرخان إبراهيم ، أمبراطورية غانه الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970م ، القاهرة.

10– الحضارة الإسلامية في مالي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة، الرباط . المغرب عام1996م.

11– النحوي خليل ، أفريقيا المسلمة هوية ضائعة، ط، 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت عام1993م

12– الودغيري عبد العلي ، الفرنكوفونية والسياسة اللغوية في المغرب، سلسلة (العلم) الرباط عام 1992م.

13– الودغيري عبد العلي ، اللغة العربية في منطقة جنوب الصحراء: الماضي والحاضر والمستقبل، " اللغة العربية إلى أين؟" منشورات المنظمة ا لإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ايسيسكو، الرباط ـ المغرب عام1426هـ ـ 2002م.

14– الودغيري عبد العلي ، حوليات الجامعة الاسلامية بالنيجر، العدد الثامن عام2002م

15– محمد عثمان علي خير، عروبة أريتريا.. حقائق ووقائع، الطبعة الأولى، دار الجليل للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 2002.

16– ميغا هارون، قراءة حديثة وممحصة لدور الإسلام في غرب إفريقيا ودرجة تجذره فيها، ومرافعة بالأدلة ضد المشوهين لطبيعة الوجود الإسلامي والمقللين لشأنه ، "التاريخ الإسلامي في غرب إفريقيا، تحت مطارق الباحثين"، في مجلة قراءات إفريقية، العدد الأول 2004م.

17– لويس جان كلفي ، السياسة اللغوية ، ترجمة ، محمد ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط أولى 2009

18– المصطفى الغربي ما وراء الفرنكوفونية من أجل كفاءة عبرثقافية وتعددة اللغات ترجمة: محمد أسليم

19– محمد العقيد محمد أحمد، قراءة في المخطوطات العربية الإسلامية، مجلة قراءات إفريقية، العدد السابع محرم، ربيع اول 1422هـ، يناير . مارس 2011م،

20– ندوة الإسلام والمسلمون في إفريقيا، كلية الدعوة الإسلامية – طرابلس / ليبيا 1998م.

المجلات والمنشورات:

1–مجلة البيان، العدد 177، 17 يوليو – أغسطس 2002م

2–مجلة قراءات أفريقية قراءات إفريقية – العدد الرابع – ذو الحجة 1430هـ / سبتمبر 2009م.

3–ساتي، مهدي (1415هـ): اللغة العربي وصراع الثقافات في السنغال

4–مجلة قراءات أفريقية، العدد 177الفرنكفونيَّة وتحدياتها للغة العربية في غرب إفريقيا

5–مجلة مستقبليات، المجلد الثاني والعشرون / العدد الثاني – 1992م.

6–مجلة قراءات إفريقية. العدد السابع محرم، ربيع اول 1422هـ، يناير . مارس 2011م.

7–مقال لمحمد أديب السلاوي بعنوان ‘‘وجهة نظر: المغرب والفرنكفونية... إلى أين؟’’، منشور بجريدة بيان اليوم الإلكترونية بتاريخ 2012./04/24

8-اللغة العربية وظلم ذوي القربى، مجلّة الحجّ والعمرة، وزارة الحجّ، السعودية، سنة 61 – عدد 9، رمضان 1427هـ / أكتوبر 2006م.

المقابلات:

1-الدكتور إبراهيم كيبي مدير قسم الامتحانات بجامعة طوبى .

2-الدكتور عبد المؤمن بمبا رئيس شعبة اللغة العربية في المدرسة العليا ببماكو.

3-الدكتور عمر جكيتي عميد كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الساحل ببماكو .

4-الأستاذ يحي جابي سيكريتر بمعهد الملك خالد

المواقع الإلكترونية:

https://ar.wikipedia.org/wiki
http://www.idrc.ca/books/focus/829/chp01_f.html.2006)
http://blogs.aljazeera.net/blogs/2018/9/22-
https://www.hespress.com/writers/54816.html
https://www.hespress.com/writers/54816.html
CIA 2012, en ligne : https://www.cia.gov/library/publications/the-worl-(factbook/geos/ml.html, consulté le : (15-11-2012) .(21.33
[1] http://www.assakina.com/news/news1/21400.html
https://www.hespress.com/writers/54816.html
www.la francophonie.org
https://www.diplomatie.gouv.fr

المراجع الأجنبية:

1- Lois et décrets de la décentralisation, Assistance de république, 4ed nouvelle imprimerie Bamakoise 1999.
2-Bleyden, (1994, 70), quoted in: Mazrui, Alamin M. English in Africa: After the Cold War, (Clevedon: Multilingual Matters, 2004.